

الإصابة

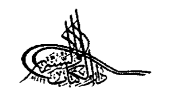
في

علو شأن الصحابة

تأليف

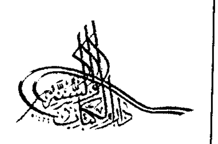
فضيلة الشيخ

جمال بن فريحان الحارثي






الإصابة
في
علو شأن
الصحابة



ح جمال بن فريحان الحارثي

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحارثي ، جمال فرحان

الإصابة في علو شأن الصحابة/ جمال فرحان الحارثي

٥٢ص؛ ١٩ سم

ردمك: ٦ – ٨٧٩ – ٤٩ – ٩٩٦٠

١. الوطنية ٢ أ–العنوان

ديوي ٩ ,٢٣٩ ١٤٢٦/٧١١٨

رقم الإيداع: ١٤٢٦/٧١١٨

ردمك: ٤ – ٨٧٩ – ٤٩ – ٩٩٦٠

الطبعة الأولى ٢٠٠٧/٢/١٩

لـ دار الكتاب والسنة

رقم الايداع بهيئة الكتب والوثائق القومية

٢٠٠٧/٨٦٨١

دار الكتاب والسنة

للطباعة والنشر والتوزيع

عين شمس الشرقية – القاهرة جمهورية مصر العربية .

جوال: ٠١٠٤٦٧١٤٣٩ – ٠١٠١٠٢١١٨٧

موقعنا على الإنترنت

www.dar-ketabsunah.com

للتواصل عبر الماسنجر

Dar_alktabwalsunnah@hotmail.com

Dar_alktabwalsunnah@yahoo.com

البريد الإلكتروني

marketing@dar-ketabsunah.com

إدارة التسويق

production@dar-ketabsunah.com

إدارة الإنتاج

Admin@dar-ketabsunah.com

مقدّمة

إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وأحسنَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثة بدعة وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

إن مما يبعث الهمة في النفوس المؤمنة، ويزيد الإيمان في القلوب؛ ذكر سيرة الصدر الأول رضوان الله عليهم، وحبهم.

قال رسول الله ﷺ: **«آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار»**.

أخرجه البخاري (١٧، ٣٥٧٣)، ومسلم (٧٤).

وقال فيهم من هو أخبر بهم من غيره أعني به ابن مسعود رضي الله عنه: «من كان مستناً فليستن بمن قد مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة؛ أبرها قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيه ولإقامة دينه».

وحب الصحابة رضي الله عنهم جميعاً عبادة، وقربة يُتَقرب بها إلى الله تعالى، ولقد قال ﷺ: **«من أحب الأنصار؛**

أحبه الله، ومن أبغض الأنصار؛ أبغضه الله».

أخرجه ابن أبي شيبة (٣٢٣٥٥)، وأحمد (٢|٥٠١،٥٢٧، ٤|٩٦، ١٠٠، ٢٢١)، والنسائي (٨٣٣٢).

وقد جاء عن بعض السلف رحمهم الله تعالى في تفضيل الصحابة على من جاء بعدهم أو بعض من جاء بعدهم، متأولين بعض النصوص تارة، ومحاولة الجمع بين النصوص تارة، ولكن كلًّا يؤخذ منه ويُرد إلا رسول الله ﷺ، وستجد أيها القارىء الكريم النصوص من الكتاب والسنة في هذه الرسالة ما فيه الكفاية، والتي ننتصر فيها بتفضيل الصحابة مطلقاً على من جاء بعدهم من التابعين ومن بعدهم؛ تعبداً لله تعالى بمحبتنا لأصحاب نبيّه ﷺ على فهم السلف الصالح للنصوص بذكر أقوال أهل العلم الراسخين فيه أصحاب المعتقد السليم في أصحاب المصطفى ﷺ، والذابين عن المهاجرين والأنصار، وأصحاب الفتح ومن بعد الفتح ممن تشرف بصحبة النبيّ ﷺ، وهي

أعلى منزلة، وأرفع شرفاً وقدراً.

وتفضيل الصحابة بعضهم على بعض؛ هذا من المسلمات عندنا للنصوص الواردة في ذلك. قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠]، وغير ذلك من الآيات، والأحاديث الدالة على فضل بعض الصحابة على بعض، ولسنا بصدد تقرير هذه المسألة في رسالتنا هذه، فالأمر فيها جلي والحمد لله.

ونحن إذ نكتب هذه السطور؛ إنما هو من باب الصد لعدوان الطاعنين في ورثة نبينا محمد ﷺ، وحتى لا يفتح الباب لأصحاب النفوس المريضة، والعقول السقيمة، وأهل الأطماع الرذيلة؛ بأن يطعنوا في حملة رسالة رسول الهدى ﷺ وسد الذرائع باب مهم؛ وهو من أصول الشريعة الغراء، وما خشيناه؛ فقد خشيه

السلف من قبل من أن يقع أحد في صحابة رسول الله ﷺ؛ حدَثَ في عصرنا هذا ممن تأثروا بالسفسطة، وكتب الرافضة التي كلها قذفٌ وشتم وتنقص وتهكم على الصحابة رضوان الله عليهم، وممن وقع في ذلك: [سيد قطب، وحسن المالكي، وأبوالحسن المأربي المصري، ومِن قبلهم؛ المودودي، وخلق كثير غيرهم]، ولكن الله قيّض لكل واحدٍ من هؤلاء من يدحر فريتهم، ويصد عدوانهم، فانبرى بعض الأفذاذ الأفاضل من علماءِ وطلبة علم؛ فألقموهم حجارة، وألفُوا الكتب، ودونوا الردود عليهم، والتي هي بمثابة الماء البارد في اليوم القائظ على كبد المؤمن العطشى، ولكن «الربيع» فاق الجميع في الرد والدفاع، فرد على جميع المذكورين ردًّا شافياً وافياً فريداً في هذا العصر، دافع فيها عن حملة الشريعة دفاعاً يليق بمن هم أهلٌ لصحبة النبي ﷺ، وقد زكاهم الله تعالى ﷻ من فوق سبع سماوات، وعنيتُ بـ «الربيع» الشيخ ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله، فالحمد لله الذي جعل

في كل عصرٍ ومصرٍ من يدافع عن حملة الشريعة، الذين حملوا لنا هذا الدين غضاً طرياً.

ولقد طُرِح سؤالٌ على بعض أئمة السلف الصالح رحمهم الله تعالى؛ منهم الإمام أحمد، فقد سئل رحمه الله:

من أفضل؛ معاوية أو عمر بن عبدالعزيز؟

فأجاب قائلًا: «من رأى رسول الله ﷺ» وقال: رسول الله ﷺ: «**خير الناس قرني**».

وسيأتي تخريج هذا الأثر وغيره معنا إن شاء الله.

والصحابة الكرام رضوان الله عليهم؛ هم الذين نصروا الإسلام بادئ ذي بدء، يوم أن كان العدو أكثر منهم؛ وهم قلّة، وعدوهم ذوو عتادٍ؛ وليس لهم عتاد، وعدوهم ذو غنى؛ وهم ذو وفقر وعيلة، وعدوهم ذو أرضٍ؛ وهم لا أرض لهم، ولم يكن لهم

على الحق أعوان، فنصروا دين الله تعالى وأعلوه؛ فنصرهم الله وأعزهم في الدارين، قال تعالى:

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وهم المخلصون الأصفياء، الذين أسّسوا الإسلام، وعضدوا الدين، وأقاموا المنار، وافتتحوا الأمصار، وحموا البَيْضة، ومهّدوا المِلّة؛ يوم أن كانوا غرباء في إيمانهم؛ لكثرة الكفار حينئذ، وصبرهم على أذاهم وتمسكهم بدينهم.

ولقد أعلا الله منزلتهم؛ بعشرة نبيّه ﷺ واتباعه، والاقتداء به في سيرته وصفاته، حتى صاروا أعزّ الأمم، وأصبحوا لمن بعدهم خير مثل، قال تعالى:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ

ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[آل عمران: ١١٠].

واللهَ أسأل أن يسدد خطانا وجميع المسلمين بسلوك سبيل هؤلاء الصلحاء، الغر الميامين، حتى يحقق لنا ربُنا ما حققه لهؤلاء، ووعد من سلك سبيلهم أن يعزه كما أعزهم حيث قال تعالى:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[النور: ٥٥].

كما أسأله سبحانه؛ أن يعينني على إظهار هذه الرسالة بالوجه الذي يرضيه - سبحانه وتعالى - عني، وأن يحشرني مع أصحاب نبيّه ﷺبحبي إيّاهم مع قلة بضاعتي المزجاة، وأنا أعتقد قوله ﷺ

من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل

إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله ﷺ: **«المرء مع من أحب»**. أخرجه الشيخان

وأسأله أن يجعل عملي هذا صواباً، والإخلاص له مرافقاً، والقبول له موافقاً. آمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

كتبه

أبو فريحان

جمال بن فريحان الحارثي

١٥/١/١٤٢٦هـ

خيرية الصحابة وتفضيلهم على مَن بعدهم مطلقاً

عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**».

أخرجه البخاري (٦٠٦٥،٣٤٥١،٢٥٠٩)، ومسلم (٢٥٣٣)، وغيرهما.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**».

أخرجه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٥٤١،٢٥٤٠).

بلفظ: «ما أدرك» بدل «ما بلغ».

وفي الأثر:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إن الله نظر إلى

قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئًا فهو عند الله سيئ».

أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٣٧٩)، وأخرجه البزار في «مسنده» (٥/ ٢١٢/ ١٨١٦)، وأبوجعفر ابن البختري في «حديثه» (ص/ ٢٨٨، ١٣٦) والدارقطني في «العلل» (٥/ ٦٦/ ٧١١)، والبيهقي في «الاعتقاد» (٣٢٢)، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٧٨).

من قوله: «فما رأى المسلمون..» وزاد فيه: «وقد رأى الصحابة جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر رضي الله عنه»، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، قال أحمد شاكر في «شرح المسند» (٣٦٠٠): إسناده صحيح.

وعن نسير بن زعلوق قال كان ابن عمر يقول: «لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ فلَمقام أحدهم ساعة خير من

عمل أحدكم عمره».

أخرجه ابن ماجه في «سننه» (١٦٢) وحسنه الألباني ثَمّ، وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٠٦) وقال الألباني: رجال إسناده ثقات رجال الشيخين غير بسر بن دعلوق، فلم أعرفه الآن.

قلت: بسر بن دعلوق وقع خطأ عند ابن أبي عاصم، وهونُسَير بن زُغْلُوق كما هو عند ابن ماجه بنفس إسناد ابن أبي عاصم من طريق وكيع.

ذكره ابن حجر في «التهذيب» (١٠/ ٣٧٩) فقال:

«نسير بن ذعلوق بالذّال الثوري أبوطعمة روى عن أبيه وابن عمر، وذكره ابن حبان في الثقات».

قلت: قال عنه ابن معين، ويعقوب بن سفيان: «ثقة»، وقال ابن عبد البر: «هو عندهم من الثقات الكوفيين».

كما في «التهذيب» (١٠/ ٣٧٩). وقال عنه ابن

حجر في «التقريب» رقم (٧١٠٧): «صدوق».

قال ابن ناصر الدين في كتابه «توضيح المشتبه» (١/ ٥٣٩):

«نُسَير وهو ابنُ ذعلوق، وكان يُكنى بأبي طُعمة، ثم ساق الأثر بلفظ: لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ فوالله لمقام أحدهم ساعة واحدة خير من عمل أحدكم عمره».

وفي «فضائل الصحابة» للإمام أحمد (١/ ٦٠):

عن عبد الله قال حدثني أبي قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن نسير بن ذعلوق قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «لا تسبوا أصحاب محمد؛ فلَمقام أحدهم ساعة خير من عبادة أحدكم أربعين سنة».

وأورده الذهبي في كتابه «المنتقى من منهاج الاعتدال» (ص/ ٦٥) بهذا اللفظ.

وبلفظ ابن ماجه أخرجه الكناني في «مصباح الزجاجة» (١/ ٢٤)، وابن حجر في «المطالب العالية» (٤١٩٢) تحقيق الأعظمي، و(٤١٥٧) تحقيق الشتري.

الآثار عن السلف في فضل الصحابة على من جاء بعدهم مطلقاً

عن القاسم بن محمد من ولد أبي بكر الصديق قال: سمعت سعيد بن يعقوب الطالقاني يقول: سمعت ابن المبارك يقول: «تراب في أنف معاوية أفضل من عمر ابن عبد العزيز».

وعن محمد بن يحيى بن سعيد قال: سئل ابن المبارك عن معاوية، فقيل له: ما تقول فيه؟ قال: ما أقول في رجل قال رسول الله ﷺ: «سمع الله لمن حمده»، فقال معاوية من خلفه: «ربنا ولك الحمد»، فقيل له: ما تقول في معاوية هو عندك أفضل أم عمر ابن عبد العزيز؟ فقال: «لتراب في منخري معاوية مع رسول الله ﷺ خير أو أفضل من عمر بن عبد العزيز».

وعن الحسين بن إدريس قال: سمعت محمد بن

عبد الله بن عمار الموصلي يقول: سمعت المعافى بن عمران وسأله رجل وأنا حاضر: أيما أفضل معاوية بن أبي سفيان أو عمر بن عبد العزيز؟ فرأيته كأنه غضب، وقال: «يوم من معاوية أفضل من عمر بن عبد العزيز»، ثم التفت إليه فقال: «تجعل رجلا من أصحاب محمد ﷺ مثل رجل من التابعين».

وعن رباح بن الجراح الموصلي قال: سمعت رجلًا سأل المعافى بن عمران، فقال يا أبا مسعود: أين عمر ابن عبد العزيز من معاوية بن أبي سفيان؟ فغضب من ذلك غضبًا شديداً، وقال: «لا يقاس بأصحاب رسول الله ﷺ أحد، معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله عز وجل، وقد قال رسول الله ﷺ: **«دعوا لي أصحابي وأصهاري فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»**.

وعن عيسى بن خليفة الحذاء قال: كان الفضل بن عنبسة جالساً عندي في الحانوت، فسئل: معاوية

أفضل أم عمر بن عبد العزيز؟ فعجب من ذلك، وقال: سبحان الله!! «أأجعل من رأى رسول الله ﷺ كمن لم يره» قالها ثلاثًا.

أخرج هذه الآثار ابن هبة الله في «تاريخ مدينة دمشق» (٥٩/ ٢٠٧، ٢٠٨). وأورد الثلاثة الأول ابن كثير في «البداية» (٨/ ١٣٩).

وأخرج الخلال في «السنة» (٢/ ٤٣٤/ ٦٦٠) قائلًا:

«أخبرنا أبوبكر المروذي، قال: قلت لأبي عبد الله: أيهما أفضل؛ معاوية أو عمر بن عبد العزيز، فقال: «معاوية أفضل لسنا نقيس بأصحاب رسول الله ﷺ أحدًا»، قال النبي ﷺ: **«خير الناس قرني الذي بعثت فيهم»**. **إسناده صحيح.**

وأخرج أيضاً رقم (٦٦١) قال:

«أخبرني عصمة بن عصام، قال: ثنا حنبل قال: سمعت أبا عبدالله وسئل: من أفضل؛ معاوية أو عمر ابن عبدالعزيز، قال: «من رأى رسول الله ﷺ» وقال:

رسول الله ﷺ: «**خير الناس قرني**». إسناده صحيح.

وأخرج الخلال أيضاً رقم (٦٦٢) قال:

«أخبرني يوسف بن موسى وأحمد بن الحسين بن حسان أن أبا عبدالله قيل له: هل يقاس بأصحاب رسول الله ﷺ أحد؟ قال: «معاذ الله»، قيل: فمعاوية أفضل من عمر بن عبدالعزيز؟ قال: «أي لعمري قال النبي ﷺ: «**خير الناس قرني**». إسناده صحيح.

وأخرج أيضاً بسنده في «السنة» رقم (٦٦٣) فقال:

«سمعت أبا بكر بن صدقة يقول: حدثنا إبراهيم بن سعيد قال: سمعت أبا أسامة - يعني: حماد بن أسامة - وذكروا له معاوية وعمر بن عبدالعزيز؟ فقال: «**لا يقاس بأصحاب النبي ﷺ أحد**، قال رسول الله ﷺ: «**خير الناس قرني**». إسناده صحيح.

وأخرج بسنده في كتابه «السّنة» (٦٦٤) قائلًا:

«أخبرني أبوبكر المروذي قال: كتب إلينا علي بن خشرم قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: سئل المعافى وأنا أسمع أو سألته: معاوية أفضل أو عمر بن عبدالعزيز؟ فقال: «كان معاوية أفضل من ستمائة مثل عمر بن عبدالعزيز». إسناده صحيح.

وأخرج أيضاً في «السّنة» رقم (٦٦٦) فقال:

«أخبرني محمد بن يزيد بن سعيد النهرواني قال: وجدت في كتاب أبي بخطه قال: حدثني الفضل بن جعفر قال: يا أبا عبدالله! أيش تقول في حديث قبيصة عن عباد السماك عن سفيان: أئمة العدل خمسة؛ أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز؟ فقال: هذا باطل يعني ما ادُّعيَ على سفيان، ثم قال: «**أصحاب رسول الله ﷺ لا يدانيهم أحد أصحاب رسول الله ﷺ لا يقاربهم أحد**»، قال: وسألت أبا معمر الكرخي عن أصحاب النبي ﷺ؟ فقال: أبوبكر وعمر وعثمان. قلت: إن عندنا إنساناً يقول: وعلي وعمر بن

عبدالعزيز. فقال أبو معمر الكرخي: ما قال بهذا أحد، ويحك من هذا؟ لِمَ تصحبون مثل هذا؟ لِمَ يخطأ معاوية؟ أصحاب محمد عليه السلام خير الناس بعد رسول الله لوجاء مَنْ بعدهم بأمثال الجبال من الأعمال لكانوا أفضل منه، لقول النبي ﷺ: «**لوأن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً؛ ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**». في سنده: محمد بن يزيد.

وأخرج أيضاً بسنده (٢/ ٤٧٧/ ٧٥٨) فقال:

«أخبرني محمد بن أبي هارون ومحمد بن جعفر أن أبا الحارث حدثهم قال: سمعت أبا عبدالله يقول: قال ﷺ: «**خير الناس قرني**»؛ فلا يقاس بأصحابه أحد من التابعين». إسناده صحيح.

وأخرج الخطيب البغدادي في «تاريخه» (١/ ٢٠٩):

«عن رباح بن الجراح الموصلي قال: سمعت رجلًا يسأل المعافى بن عمران فقال: يا أبا مسعود! أين عمر ابن عبد العزيز من معاوية بن أبي سفيان؟ فغضب من

ذلك غضباً شديداً، وقال: «لا يقاس بأصحاب رسول الله ﷺ أحد»، معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله عز وجل، وقد قال رسول الله ﷺ: **«دعوا لي أصحابي وأصهاري، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس»**. انتهى.



أقوال أهل العلم

قال ابن العربي المالكي في «أحكام القران» (٢/ ٢٢٨):

«تذاكرتُ بالمسجد الأقصى - طهَّره الله - مع شيخنا أبي بكر الفِهْري هذا الحديث عن أبي ثعلبة، وقوله ﷺ فيه: «**إن من ورائكم أيام، الصبر للعامل فيها أجرُ خمسين منكم**»، فقالوا: بل منهم، فقال: «**بل منكم، لأنكم تجدون على الخير أعواناً، وهم لا يجدون عليه أعواناً**»، وتفاوضنا كيف يكون أجرُ من يأتي من الأمة أضعاف أجرِ الصحابة، مع أنهم أسّسوا الإسلام، وعضدوا الدين، وأقاموا المنار، وافتتحوا الأمصار، وحموا البَيْضة، ومهّدوا المِلّة؟ وقد قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**دَعُوا لي أصحابي، فلو أنفق أحدُكم كلّ يوم مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مد أحدِهم ولا نصيفه**».

فتراجعنا القولَ؛ فكان الذي تنخّل من القول، وتحصّل من المعنى لباباً أوضحناه في شرح الحديث الصحيح، الإشارة إليه: أن الصحابة كان لهم أعمال كثيرة فيها ما تقدم سَرْدُه وذلك لا يلحقهم فيه أحد، ولا يُدَاني شَأْوَهم فيها بشر». انتهى.

قال النووي في «شرح مسلم» (٣/ ١٣٨١٣٩):

«قوله ﷺ: «**وددت أنا قد رأينا إخواننا. قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: بل أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد**».

قال الإمام الباجي: قوله ﷺ: «بل أنتم أصحابي» ليس نفيًا لأخوتهم، ولكن ذكر مرتبتهم الزائدة بالصحبة فهؤلاء أخوة صحابة والذين لم يأتوا إخوة ليسوا بصحابة كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، قال القاضي عياض: ذهب أبوعمرو بن عبد البر في هذا الحديث وغيره من الأحاديث في فضل من يأتي آخر الزمان إلى أنه قد يكون فيمن يأتي بعد الصحابة

من هو أفضل ممن كان من جملة الصحابة، وأن قوله ﷺ خيركم قرني على الخصوص معناه: خير الناس قرني، أي: السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ومن سلك مسلكهم، فهؤلاء أفضل الأمة وهم المرادون بالحديث.

وأما من خلط في زمنه ﷺ وإن رآه وصحبه أو لم يكن له سابقة ولا أثر في الدين فقد يكون في القرون التي تأتي بعد القرن الأول من يفضلهم على ما دلت عليه الآثار.

قال القاضي: وقد ذهب إلى هذا أيضًا غيره من المتكلمين على المعاني. قال: وذهب معظم العلماء إلى خلاف هذا، وأن من صحب النبي ﷺ ورآه مرة من عمره، وحصلت له مزية الصحبة أفضل من كل من يأتي بعد، فان فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل، قالوا: وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، واحتجوا بقوله ﷺ: **«لوأنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا**

نصيفه»، هذا كلام القاضي والله أعلم». انتهى.

وقال رحمه الله في موضع آخر: (١٦/ ٨٤٨٥):

«قوله ﷺ: «**خيركم قرني**» وفي رواية خير الناس قرني ثم الذين يلونهم إلى آخره. اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه ﷺ والمراد أصحابه، وقد قدمنا أن الصحيح الذي عليه الجمهور أن كل مسلم رأى النبي ﷺ ولو ساعة فهو من أصحابه، ورواية: خير الناس على عمومها، والمراد منه جملة القرن ولا يلزم منه تفضيل الصحابي على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ولا أفراد النساء على مريم وآسية وغيرهما، بل المراد جملة القرن بالنسبة إلى كل قرن بجملته». انتهى.

قال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٦٦):

(«**خير القرون قرني الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»، فجملة القرن الأول؛ أفضل من القرن الثاني، والثاني؛ أفضل من الثالث، والثالث؛ أفضل من الرابع. لكن قد يكون في الرابع من هو أفضل من بعض

الثالث، وكذلك في الثالث مع الثاني. وهل يكون فيمن بعد الصحابة، من هو أفضل من بعض الصحابة المفضولين لا الفاضلين؟ هذا فيه نزاع، وفيه قولان: حكاهما القاضي عياض وغيره). انتهى.

وقال رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١/ ٢٣٤)، و«التوسل والوسيلة» (ص/ ١٣٥):

«وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**». أخرجاه في «الصحيحين»، والواحد من بعد الصحابة لا يكون مثل الصحابة بأعمال مأمور بها واجبة؛ كالحج والجهاد والصلوات الخمس والصلاة عليه، فكيف بعمل ليس بواجب باتفاق المسلمين... إلى أن قال رحمه الله:

«فلو سافر أحد السفر الواجب والمستحب؛ لم يكن مثل واحد من الصحابة الذين سافروا إليه في حياته». انتهى.

وفي قوله عز وجل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ﴾.

قال محمد بن أبي بكر الزرعي في كتابه «زاد المهاجر» (ص/ ٥٤):

«**فالأولون**: هم الذين أدركوا رسول الله ﷺ وصحبوه.

والآخرون: هم الذين لم يلحقوهم؛ وهم كل من بعدهم على منهاجهم إلى يوم القيامة، فيكون التأخر وعدم اللحاق في الفضل والرتبة، بل هم دونهم. فيكون عدم اللحاق في الرتبة. والقولان كالمتلازمين، فإن من بعدهم لا يلحقون بهم؛ لا في الفضل ولا في الزمان». انتهى.

قال ابن حجر في «الفتح» (٧/ ٦٧):

«قوله ﷺ: «**ثم الذين يلونهم**» أي القرن الذي بعدهم وهم التابعون، «**ثم الذين يلونهم**» وهم اتباع

التابعين، واقتضى هذا الحديث: أن تكون الصحابة أفضل من التابعين، والتابعون أفضل من أتباع التابعين، لكن هل هذه الأفضلية بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد؟ محل بحث. وإلى الثاني نحا الجمهور، والأول قول ابن عبد البر.

والذي يظهر أن من قاتل مع النبيﷺ أو في زمانه بأمره أو انفق شيئاً من ماله بسببه لا يعدله في الفضل أحد بعده كائناً من كان.

وأما من لم يقع له ذلك؛ فهو محل البحث، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ . الآية، واحتج ابن عبد البر بحديث: «**مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره**» ، وهو حديث حسن له طرق قد يرتقي بها إلى الصحة، وأغرب النووي فعزاه في فتاويه إلى «مسند أبي يعلى» من حديث أنس بإسناد ضعيف، مع أنه عند الترمذي بإسناد أقوى

منه من حديث أنس، وصححه ابن حبان من حديث عمار، وأجاب عنه النووي بما حاصله: أن المراد من يشتبه عليه الحال في ذلك من أهل الزمان الذين يدركون عيسى بن مريم عليه السلام ويرون في زمانه من الخير والبركة وانتظام كلمة الإسلام ودحض كلمة الكفر فيشتبه الحال على من شاهد ذلك أي الزمانين خير.

وهذا الاشتباه مندفع بصريح قوله ﷺ: «**خير القرون قرني**». والله اعلم. وقد روى ابن أبي شيبة من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير أحد التابعين بإسناد حسن قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليدركن المسيح أقواماً إنهم لمثلكم أو خير ثلاثاً، ولن يخزي الله أمة أنا أولها، والمسيح آخرها**» وروى أبوداود والترمذي من حديث أبي ثعلبة رفعه: «**تأتي أيام للعامل فيهن أجر خمسين**»، قيل: منهم أومنا يا رسول الله؟ قال: «**بل منكم**»، وهو شاهد لحديث: «**مثل أمتي مثل المطر**»، واحتج ابن عبد البر أيضاً بحديث عمر رفعه: «**أفضل الخلق إيمانًا**

قوم في أصلاب الرجال يؤمنون بي ولم يروني». الحديث أخرجه الطيالسي وغيره لكن إسناده ضعيف، فلا حجة فيه.

وروى أحمد والدارمي والطبراني من حديث أبي جمعة قال: قال أبوعبيدة: يا رسول الله! أأحد خير منا، أسلمنا معك، وجاهدنا معك؟ قال: «**قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني**». وإسناده حسن. وقد صححه الحاكم، واحتج أيضاً بأن السبب في كون القرن الأول خير القرون؛ أنهم كانوا غرباء في إيمانهم لكثرة الكفار حينئذ وصبرهم على أذاهم وتمسكهم بدينهم، قال: فكذلك أواخرهم؛ إذا أقاموا الدين وتمسكوا به وصبروا على الطاعة حين ظهور المعاصي والفتن؛ كانوا أيضاً عند ذلك غرباء، وزكت أعمالهم في ذلك الزمان كما زكت أعمال أولئك، ويشهد له ما رواه مسلم عن أبي هريرة رفعه: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء**» وقد تعقب كلام

ابن عبد البر بأن مقتضى كلامه أن يكون فيمن يأتي بعد الصحابة من يكون أفضل من بعض الصحابة، وبذلك صرح القرطبي، لكن كلام ابن عبد البر ليس على الإطلاق في حق جميع الصحابة؛ فإنه صرح في كلامه باستثناء أهل بدر والحديبية. نعم؛ والذي ذهب إليه الجمهور أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله ﷺ وأما من اتفق له الذب عنه والسبق إليه بالهجرة أوالنصرة وضبط الشرع المتلقي عنه وتبليغه لمن بعده فإنه لا يعدله أحد ممن يأتي بعده؛ لأنه ما من خصلة من الخصال المذكورة إلا وللذي سبق بها مثل أجر من عمل بها من بعده؛ فظهر فضلهم.

ومحصل النزاع يتمحض فيمن لم يحصل له إلا مجرد المشاهدة كما تقدم؛ فإن جمع بين مختلف الأحاديث المذكورة كان متجهًا على أن حديث: للعامل منهم أجر خمسين منكم لا يدل على أفضلية غير الصحابة على الصحابة؛ لإن مجرد زيادة الأجر لا

يستلزم ثبوت الأفضلية المطلقة، وأيضًا فالأجر إنما يقع تفاضله بالنسبة إلى ما يماثله في ذلك العمل، فأما ما فاز به من شاهد النبي ﷺ من زيادة فضيلة المشاهدة فلا يعدله فيها أحد، فبهذه الطريق يمكن تأويل الأحاديث المتقدمة، وأما حديث أبي جمعة فلم تتفق الرواة على لفظه؛ فقد رواه بعضهم بلفظ الخيرية كما تقدم، ورواه بعضهم بلفظ: قلنا: يا رسول الله هل من قوم أعظم منا أجرًا؟ الحديث. أخرجه الطبراني، وإسناد هذه الرواية أقوى من إسناد الرواية المتقدمة، وهي توافق حديث أبي ثعلبة، وقد تقدم الجواب عنه والله أعلم». انتهى.

قال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٨/ ٣١٣، ٣١٤):

«والذي يستفاد من مجموع الأحاديث:

أن للصحابة مزية لا يشاركهم فيها من بعدهم، وهي صحبته ﷺ ومشاهدته والجهاد بين يديه وإنفاذ أوامره ونواهيه، ولمن بعدهم مزية لا يشاركهم الصحابة فيها وهي إيمانهم بالغيب في زمان لا يرون فيه الذات

الشريفة التي جمعت من المحاسن ما يقود بزمام كل مشاهد إلى الإيمان إلا من حقت عليه الشقاوة.

وأما باعتبار الأعمال فأعمال الصحابة فاضلة مطلقاً من غير تقييد بحالة مخصوصة كما يدل عليه «**لو أنفق أحدكم مثل أحد**». الحديث.

إلا أن هذه المزية هي للسابقين منهم؛ فإن النبي ﷺ خاطب بهذه المقالة جماعة من الصحابة الذين تأخر إسلامهم كما يشعر بذلك السبب، وفيه قصة مذكورة في كتب الحديث، فالذين قال لهم النبي ﷺ: «**لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً**»؛ هم جماعة من الصحابة الذين تأخرت صحبتهم، فكان بين منزلة أول الصحابة وآخرهم أن إنفاق مثل أحد ذهباً من متأخريهم لا يبلغ مثل إنفاق نصف مد من متقدميهم.

وأما أعمال من بعد الصحابة فلم يرد ما يدل على كونها أفضل على الإطلاق، إنما ورد ذلك مقيدًا بأيام الفتنة وغربة الدين، حتى كان أجر الواحد يعدل أجر

خمسين رجلًا من الصحابة، فيكون هذا مخصصاً لعموم ما ورد في أعمال الصحابة، فأعمال الصحابة فاضلة وأعمال من بعدهم مفضولة، إلا في مثل تلك الحالة، ومثل حالة من أدرك المسيح إن صح ذلك المرسل، وبانضمام أفضلية الأعمال إلى مزية الصحبة يكونون خير القرون، ويكون قوله: «**لا يدرى خير أوله أم آخره**» باعتبار أن في المتأخرين من يكون بتلك المثابة من كون أجر خمسين هذا باعتبار أجور الأعمال. وأما باعتبار غيرها فلكل طائفة مزية كما تقدم ذكره، لكن مزية الصحابة فاضلة مطلقاً باعتبار مجموع القرن؛ لحديث: «**خير القرون قرني**»، فإذا اعتبرت كل قرن قرن ووازنت بين مجموع القرن الأول مثلًا ثم الثاني ثم كذلك إلى انقراض العالم فالصحابة خير القرون، ولا ينافي هذا تفضيل الواحد من أهل قرن أو الجماعة على الواحد أو الجماعة من أهل قرن آخر. فإن قلت: ظاهر الحديث المتقدم أن أبا عبيدة قال: يا رسول الله! أحد خير منا، أسلمنا معك، وجاهدنا معك، فقال: «**قوم**

يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولا يروني»، يقتضي تفضيل مجموع قرن هؤلاء على مجموع قرن الصحابة.

قلت: ليس في هذا الحديث ما يفيد تفضيل المجموع على المجموع، وإن سلم ذلك وجب المصير إلى الترجيح لتعذر الجمع.

ولا شك أن حديث خير القرون قرني أرجح من هذا الحديث بمسافات لو لم يكن إلا كونه في «الصحيحين»، وكونه ثابتاً من طرق، وكونه متلقى بالقبول؛ فظهر بهذا وجه الفرق بين المزيتين من غير نظر إلى الأعمال، كما ظهر وجه الجمع باعتبار الأعمال على ما تقدم تقريره، فلم يبق ها هنا إشكال والله أعلم». انتهى.

قال الألوسي في «روح المعاني» (٢٨/ ٩٤):

«قال بعضهم: أن المراد بقوله تعالى: ﴿لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ أنهم لم يلحقوا بهم في الفضل لفضل الصحابة على التابعين ومن بعدهم، وفيه أن ﴿لَمَّا﴾ منفيها

مستمر إلى الحال ويتوقع وقوعه بعد فتفيد أن لحوق التابعين ومن بعدهم في الفضل للصحابة متوقع الوقوع؛ مع أنه ليس كذلك، وقد صرحوا أنه لا يبلغ تابعي وإن جل قدرًا في الفضل مرتبة صحابي وإن لم يكن من كبار الصحابة، وقد سئل عبد الله بن المبارك عن معاوية، وعمر بن عبد العزيز أيهما أفضل؟ فقال: الغبار الذي دخل أنف فرس معاوية أفضل عند الله من مائة عمر بن عبد العزيز، فقد صلى معاوية خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقرأ ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ إلخ، فقال معاوية: آمين. واستدل على عدم اللحوق بما صح من قوله عليه الصلاة والسلام فيهم: «**لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**» على القول بأن الخطاب لسائر الأمة، وأما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «**أمتي كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره**» فمبالغة في خيْرِيَّتهم، كقول القائل في ثوب حسن البطانة: لا يدرى ظهارته خير أم بطانته». انتهى.

قال المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٩/ ١٤٨):
«قوله: ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾:

قيل: في السبق إلى الإسلام والشرف والدرجة، وهذا النفي مستمر دائماً، لأن الصحابة لا يلحقهم ولا يساويهم في شأنهم أحد من التابعين ولا ممن بعدهم». انتهى.

قال الزرقاني في كتابه «مناهل العرفان في علوم القرآن» (١/ ٢٣٣):

«نقرأ في صحيح السنة ما يشهد بفضل الصحابة، وكمال امتيازهم على الثقلين سوى النبيين والمرسلين. روى الترمذي وابن حبان في «صحيحه» أن رسول الله ﷺ قال: «**الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً، فمن أحبهم؛ فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم؛ فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم؛ فقد آذاني، ومن آذاني؛ فقد آذى الله، فيوشك أن يأخذه**».

وروى البزار في «مسنده» برجال كلهم موثقون أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله اختار أصحابي على الثقلين سوى النبيين والمرسلين**» وجاء في صحيح البخاري ومسلم أنه ﷺ قال في شأن أصحابه: «**لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه**».

وتواتر عنه ﷺ أنه قال: «**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم**».

فأنت ترى من هذه الشهادات العالية في الكتاب والسنة ما يرفع مقام الصحابة إلى الذروة، وما لا يترك لطاعن فيهم دليلًا ولا شبه دليل». انتهى.

قال أمير بادشاه في كتابه «تيسير التحرير» (٣/ ٦٥):

«وهم - أي الصحابة - خير الأمة، وكل منهم أفضل من كل من بعده وإن رقى في العلم والعمل، خلافاً لابن عبد البر في هذا، حيث قال: قد يأتي بعدهم من هو أفضل من بعضهم». انتهى.

نظَم أبوبكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث هذه القصيدة لنفسه فقال:

قل إن خير الناس بعد محمد
وزيراه قدمًا ثم عثمان الارجح
ورابعهم خير البرية بعدهم
علي حليف الخير بالخير منجح
وأنهم والرهط لا ريب فيهم
على نجب الفردوس في الخلد يسرح
سعيد وسعد وابن عوف وطلحة
وعامر فهر والزبير الممدح
وسبطا رسول الله وابنا خديجة
وفاطمة ذات البقا تبحبحوا
عائشة أم المؤمنين وخالنا
معاوية أكرم به ثم أمسح
وأنصاره المهاجرون ديارهم
بنصرتهم عن كية النار زحزحوا
أولئك قوم قد عفا الله عنهم
وأرضاهم فأحبهم فإنك تفرح

وقل خير قول في الصحابة كلهم
ولا تك طعانًا تعيب وتجرح
فقد نطق الوحي المبين بفضلهم
وفي الفتح آي للصحابة تمدح

هذا ما تيسر جمعه ولله الحمد والمنة، وأسأله المزيد من فضله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

كتبه
أبوفريحان
جمال بن فريحان الحارثي
منتصف شهر الله المحرم عام ستة وعشرين
وأربعمائة وألف للهجرة النبوية
الطائف - المملكة العربية السعودية



فهرس الأحاديث

الأحاديث الصفحة

فهارس الآثار

فهارس الموضوعات